

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَصَايَا لِطَالِبِ الْعِلْمِ

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين . اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا ، اللهم علّمنا ما ينفعنا وزدنا علماً وتوفيقاً، ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين . أما بعد :

موضوع اللقاء «وصايا لطلاب العلم» ولم أهيء شيئاً أقوله لكنني أذكر بعض الوصايا العامة التي أرجو أن يكون فيها تذكيراً لي وإخواني بما ينبغي أن يكون عليه طالب العلم من حلية عظيمة وصفات جميلة تليق بالمقام الشريف الذي بوّاه الله عز وجل إياه وأنزله منازل ؛ حتى تؤتي رحلته لطلب العلم ثمارها بإذن الله سبحانه وتعالى ويجني فيما بعد من بركاتها وخيراتها ، لأنه في هذه المرحلة في مرحلة التأسيس والبناء لما بعده من بذل وعطاء ، وطالب العلم محتاج في مراحل الطلب إلى الذكرى والوصية ، والذكرى تفع المؤمنين . وفي هذا المقام أشير إلى جملة من الوصايا أنصح نفسي وإخواني بها .

■ وأهم ما في هذا الباب ؛ أن يعلم طالب العلم أن طلب العلم عبادة وقرية لله سبحانه وتعالى ، بل قال بعض السلف «ما تُقَرَّب إلى الله بمثل طلب العلم» ، وذلك أن الوظائف الدينية والأعمال التعبدية وأنواع القربات التي يتقرب إلى الله سبحانه وتعالى بها لا سبيل إلى معرفتها وإلى العلم بها إلا من خلال العلم وبطريقه ، فبالعلم تُعرف الأحكام ويُهتدى إلى الحلال والحرام ، وبالعلم يميز المرء بين الحق والضلال ، والهدى والباطل ، والسنة والبدعة ، وبالعلم يرى الطريق واضحة ومنارات الهدى بينة فلا تلتبس عليه السبل ، بل به تستبين وتتضح ؛ ولهذا فإن طلاب العلم من أعظم القرب وأجلها ، ولهذا ينبغي على طالب العلم أن يستحضر ذلك دوماً أنه في طلبه للعلم في قرية إلى الله هي من أعظم ما يتقرب به إليه سبحانه وتعالى جل في علاه .

وإذا استحضر ذلك دفعه هذا إلى الإخلاص لله تبارك وتعالى في تعبده وتقريبه لله جل وعلا ، وإذا كان العلم عبادة فالشأن فيه كالشأن في العبادات كلها ؛ لا يقبله الله من العامل إلا بإخلاص ؛ بأن ينوي في طلبه للعلم وجه الله وطلب رضاه ونيل ما عنده سبحانه وتعالى ، قد قال الله عز وجل: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ

الدين﴾ [البينة:5] ومن ذلكم عبادة الله والتقرب إليه بطلب العلم ، فيخلص في طلبه للعلم إلى الله عز وجل ويكون مبتغياً به وجه الله عز وجل ، وإذا أخلص صفا عمله فأثمر ، ولهذا مع الإخلاص وإن قلَّ علمه أثمر ، لأن الإخلاص يبارك في القليل وينميه ، فالإخلاص بركة على صاحبه ، وثماره عليه في دنياه وأخراه لا حد لها ولا عد ، بخلاف ضده فإنه يفسد عليه عمله ، وأعظم ما يكون الخطر في هذا الباب أن لا يقبل الله سبحانه وتعالى منه ذلك ، لأنه كما جاء في الحديث القدسي يقول الله تعالى : ((أَنَا أَعْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشُّرْكِ ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ

فِيهِ مَعِيَ غَيْرِي تَرْكُهُ وَشِرْكُهُ)) من عمل عملاً أراد به غير الله عز وجل تركه وشركه ، لم يقبل منه سبحانه وتعالى عمله ، رَدَّه عليه . فالحاصل أن الإخلاص شأنه عظيم ويحتاج من المسلم إلى معالجة مستمرة ، ولهذا قال الإمام الأوزاعي : «ما عاجلُ شَيْئاً أشد علي من نيتي» ، النية تنفلت فتحتاج إلى معالجة مستمرة ودائمة حتى تكون في صفاء ونقاء وسلامة بإذن الله سبحانه وتعالى .

■ ومن الوصايا العظيمة التي ينبغي لطالب العلم بل كل مسلم أن يعتني بها : تحقيق التقوى التي هي وصية الله جل وعلا للأولين ولآخرين من عباده كما قال الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ [النساء:131] ، وهي وصية النبي صلى الله عليه وسلم لأمته ، وهي وصية السلف الصالح فيما بينهم ، وأحسن ما حَدَّثَ به التقوى قول بعض التابعين : «تقوى الله: عملٌ بطاعة الله على نور من الله رجاء ثواب الله ، وتركٌ لمعصية الله على نور من الله خيفة عذاب الله» . فيا طالب العلم كن متقياً لله ، اتق الله عز وجل في طلبك للعلم ، اتق الله عز وجل في عبادتك لله ، اتق الله تبارك وتعالى في عملك بما تعلم ، فإن مقصود العلم العمل ، اتق الله عز وجل في حقوقه عليك سبحانه وتعالى ، اتق الله عز وجل في حقوق عباده ، اتق الله عز وجل في بُعْدِكَ عما نهاك الله عنه وما يسخط الله سبحانه وتعالى عليك ، فكن متقياً لله مجاهدًا لنفسك على تحقيق تقوى الله عاملاً بوصية النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ حيث قال له : ((اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ)) أي في بيتك ، وفي مسجدك، ومكان عبادتك ، وفي وظيفتك ، وفي مكان دراستك ، وفي بيعك وشرائك ، وفي جميع مجالاتك وأحوالك ؛ كن متقياً لله سبحانه وتعالى . وأعظم ما يعينك على تقواه جل في علاه أن تعلم أنه جل وعلا يراك لا تخفى عليه منك خافية ، ولهذا قال أهل العلم : أعظم رادع عن المناهي وأعظم معين على الإحسان في التبعّد لله عز وجل؛ أن تستحضر أن الله يراك وأنه مطلع عليك وأنه عالم بك وأنه سبحانه وتعالى لا تخفى عليه من العباد خافية ، فبهذه المراقبة للرب العظيم سبحانه وتعالى يُحسن الإنسان في تحقيق تقواه جل وعلا والقيام بهذه الصفة العظيمة والخصلة الجليلة المباركة .

■ ومن الوصية لطالب العلم : أن يحرص على أدب الطلب ؛ فإن العلم طريقٌ مبارك لا يزين ولا يطيب إلا بحليته وزينته، وزينة طلاب العلم التحلي بآداب الطلب ، ولقد أحسن الشيخ بكر أبو زيد رحمه الله عندما سمى كتابه في آداب طالب العلم «حلية طالب العلم» ، لأن الأدب هو الحلية الحقيقية وهو عنوان على فلاح صاحبه ونجاحه وسداد أموره. والأدب مقام يحتاج إلى مجاهدة للنفس حتى يكون المرء متصفاً به ، ولهذا أنصح في هذا المقام أن تكون كتب الأدب بين يدي طالب العلم باستمرار يعيد النظر فيها مجاهدًا نفسه على التحلي بها ، ومن أحسن ما في هذا الباب هذا المختصر الذي أشرت إليه «حلية طالب العلم» للشيخ بكر أبو زيد رحمه الله تعالى ، فينظر الطالب ويقوّم نفسه ويعلم على تسديدها وأطرها على لزوم الأدب ؛ الأدب مع الله ، والأدب مع شرعه ، والأدب مع أساتذته ومعلميه ، والأدب مع زملائه وإخوانه ، الأدب مع من يعاملهم ، الأدب حلية

لصاحبه وزينة وجمال، فيجاهد نفسه على التحلي بآداب الشريعة والتخلق بأخلاقها العظيمة المباركة .

■ ومن الوصية لطالب العلم: أن لا يغفل دوماً في طلبه للعلم عن الدعاء فإنه مفتاح كل خير ، ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي

عِلْمًا﴾ [طه:114] يسأل الله عز وجل أن يعينه ، وأن يسدده ، وأن يوفقه ، وأن يلهمه الصواب ، وأن يجنبه الزلل ،

وأن يعيده من الفتن ، ويلج على الله سبحانه وتعالى بالدعاء ، وأبخل الناس أبخلهم بالدعاء ، والدعاء مفتاح كل خير، أحد السلف يبرز مكانة الدعاء فيقول: لو جيء بالخيرات كلها وجعلت في يميني وأخرج قلبي من مكانه وجعل في يساري لما استطعت أن أجعل شيئاً من هذه الخيرات في قلبي إلا أن يكون الله الذي يضعه . لأن الأمر

بيده سبحانه وتعالى ؛ بيده صلاح القلوب وزكاء النفوس واستقامة العبادة بيد الله عز وجل لا شريك له جل

وعلا ، وقد قال الله تعالى ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر:60] ، ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ

أَجِيبْ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة:186] ، فالدعاء مستجاب ، ولهذا عمر رضي الله عنه كان يقول «إني لا أحمل

همَّ الإجابة ولكن أحمل همَّ الدعاء» لأن الدعاء مستجاب ﴿إِن رَّبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [إبراهيم:39] الدعاء

مستجاب . فالحاصل أن طالب العلم ينبغي أن يكون على لسانه الدعاء ولا سيما في مقام الطلب ، وتأمل معي

دعوة عظيمة كان نبينا عليه الصلاة والسلام يدعو بها كل يوم ، كل يوم إذا أصبح بعد أن يسلم من صلاة

الصبح يقول عليه الصلاة والسلام في دعائه «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ عِلْمًا نَافِعًا، وَرِزْقًا طَيِّبًا ، وَعَمَلًا مُتَقَبَّلًا» .

من الدعوات العظيمة عن نبينا صلوات الله وسلامه وبركاته عليه ما كان يقوله عقب صلاة الصبح ما كان يقوله

عقب صلاة الصبح دعائه «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ عِلْمًا نَافِعًا، وَرِزْقًا طَيِّبًا ، وَعَمَلًا مُتَقَبَّلًا» ووالله إني لأوصيك بهذا

الدعاء كل يوم وأنصحك به ، ففيه خير وبركة عليك في كل أيامك لا تقوّته ولا في يوم واحد من أيامك بعد

صلاة الصبح ، وهذا الدعاء فيه تحديد لأهداف المسلم في يومه ووضوح من الصباح الباكر للأهداف ، ومن

سبب النجاح في الأيام أن تكون الأهداف واضحة ومحددة ، فأنت إذا أصبحت تدعو بهذا الدعاء أهدافك في

يومك واضحة وهي ثلاث ، ولو تأملت لن تجد للمسلم إلا هذه الأهداف الثلاثة وتفكروا في الأمر ليس للمسلم

في يومه إلا هذه الأهداف الثلاثة : العلم النافع ، والرزق الطيب ، والعمل المتقبل ، إن كان يحضركم هدف رابع

زائد عليه فاذكروه ، أهداف المسلم في يومه هي هذه الثلاث، انظر عظمة هذا الدعاء يبدأ يومه بتحديد الأهداف

ليس هذا فقط بل سؤال الله جل وعلا أن يعينه على تحقيقها وأن تيسر له ، فهذه الدعوة المشتملة على هذه

الأمر الثلاثة بدئت بالعلم ، وهذا فيه فائدة مهمة لطالب العلم؛ أن العلم مقدم على القول والعمل ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا

إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾ [محمد:19] فبدأ بالعلم قبل القول والعمل ، فالعلم مقدّم ، فهذا يفيدك أن في الأهداف في كل

يوم من أيامك طلب العلم ، ولهذا يوم تغيب عليك الشمس فيه لا تحصّل فيه شيء من العلم هذا من عقوق

اليوم ومن الحرمان فيه، لأن للمسلم في كل يوم من أيامه هدفه العظيم الذي هو أولى أولويات أهدافه في يومه أن يحصل علماً نافعا . وفي قوله «علماً نافعا» تنبيه إلى أن في العلم ما لا ينفع ، وفي العلم أيضاً ما يكون نافعا في نفسه لكن صاحبه لا ينتفع به ؛ يحفظه يعلمه لكن لا يعمل به فلا يكون منتفعاً بعلمه ، فإذا قلت "اللهم إني أسألك علماً نافعا" تضمن هذا سؤال الله صلاح العلم في نفسه ، وصلاح العلم في حسن الانتفاع به ، ولهذا جاء التعوذ من علم لا ينفع ، أي لا ينتفع به صاحبه بل يكون حجة عليه ، وفي الحديث يقول عليه الصلاة والسلام ((وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ)) .

■ ومن الوصية لطالب العلم : أن يغتنم مرحلة الشباب ؛ فهي مرحلة مباركة في عمره ثمينة جدا لن يعرف قيمتها إلا إذا انقضت ، مرحلة عظيمة جدا ومباركة فليغتنم هذه المرحلة في حفظ شبابه كما قال نبينا عليه الصلاة والسلام: ((اَغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ)) وبدأها بـ ((شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ)) ، وأخبر عليه الصلاة والسلام أن المرء إذا قام بين يدي الله يوم القيامة يُسأل عن عمره سؤالين ؛ سؤال عن العمر كله ، وسؤال عن مرحلة الشباب خاصة؛ لأهمية هذه المرحلة ((لَنْ تَزُولَ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يَسْأَلَ عَنْ أَرْبَعٍ: عَنْ شَبَابِهِ فِيمَا أَبْلَاهُ، وَعَنْ عُمْرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ))، فمرحلة الشباب هذه ستسأل عنها يوم القيامة ؛ لأنها مرحلة القوة مرحلة النشاط ، مرحلة التوقد في الذهن ، مرحلة تمام الصحة والعافية ، مرحلة التمتع بقوة النظر ، إذا كنت تقرأ الآن وترى الأشياء الدقيقة قد يأتي على الإنسان مرحلة ما يستطيع أن يقرأ أو ينظر نظراً جيداً لما كان يراه في شبابه بوضوح ، وربما يأتي عليه مرحلة لا يستطيع أن يقرأ إلا بزجاجة تعينه على النظر ، فمرحلة الشباب مرحلة ثمينة جداً فلا تجعلها تضيع وتذهب هكذا، بل ضاعف الجهد في اغتنام هذه المرحلة ، كرس نفسك مع حفظ الوقت والرعاية له والعناية به .

■ من الوصايا العظيمة للشباب طالب العلم : أن يتجنب الفتن ؛ الفتن بلاء ووباء وشر عظيم وعثرة في طريق الشاب وسيره المبارك إلى الله سبحانه وتعالى ، الفتن شر ، وللفتن دعاة فليحذر المرء ، ولهذا جاء في الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنَ الْفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ)) قالوا: «نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ» والحديث في مسلم ، فكن حريصاً على تجنب الفتن وعدم الاستشراف لها ، قد قال عليه الصلاة والسلام ((إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِبَ الْفِتَنُ)) ؛ تجنب الفتن والسلامة منها عافية ونجاة وغنيمة ، فاحرص على البعد عن الفتن وعدم الاستشراف لها والحرص على مجانبتها والبعد عنها ، في هذا يقول ابن مسعود رضي الله عنه : «إِنَّهَا سَتَكُونُ أُمُورٌ مُشْتَبِهَاتٌ ، فَعَلَيْكُمْ بِالتَّوَدَةِ ، فَإِنَّكَ أَنْ تَكُونَ تَابِعًا فِي الْخَيْرِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَكُونَ رَأْسًا فِي الشَّرِّ»؛ فيتعوذ المرء بالله من الفتن ويجانبها ويحرص على السلامة منها والوقاية من أضرارها وأشرارها حتى يسلم في علمه في عبادته وفي سلوكه وفي أيضاً حسن الانتفاع به فيما بعد في لاحق عمره ، لأن الفتن تقطع عليه هذه المسيرة المباركة وتوقعه في دروب مظلمة ومهلكة ومتاهات خطيرة جدا مردية لصاحبها .

■ ومن الوصية لطالب العلم : أن ينتبه لآفة بُلي بها الناس في هذا العصر أخذت من أوقاتهم الشيء الكثير فيما لا نفع فيه ولا فائدة ، بل في أحيان كثيرة فيما فيه مضرة ؛ وهي الهواتف الذكية الآن التي بأيدي الناس ويحملونها في كل مكان ، هذه أخذت الأوقات وأشغلت الناس وألهمت القلوب وصرفت عن الخير وملئت كثيرا من الوقت في أقل ما يقال في وصفه فيما لا فائدة فيه ، وتضرر كثير من الناس ، ودخلت حتى في المساجد تلاحظ بعض الناس مجرد ما يقول «السلام عليكم ورحمة الله، السلام عليكم ورحمة الله» يخرج مع التسليمة التي على يساره يده اليمين في جيبه ويخرج الجوال ويبدأ يتابع في شغف ولهف! أعاشت عن الذكر ، أعاشت عن العلم ، أعاشت حتى عن العبادة والتقرب لله سبحانه وتعالى ، وليس المطلوب تركها لأنها باب نفع لكن المطلوب اتقاء شرها وتوقي ضررها العظيم وتجنب آفاتهما، لأن مثل ما تعلمون إذا دخل في هذه الأجهزة أمام أودية كثيرة جدا وكل وادي يجذبه إلى الآخر ويشده إلى الآخر ويجد نفسه مصاب، يفاجئ أحيانا إذا مضى عليه الساعتين أو الثلاث ، رأيتم كيف أنها أعاشت حتى يسمونها «برامج التواصل» وهي برامج خطيرة ، الآن تجدهم في البيت الواحد حتى الابن عند أمه مشتاقة للحديث معه يخرج الجهاز عند أمه ويرمي النظر على الجوال ولا يحادث أمه ، وهي تعتصر ألما على ولدها ولهفها وشوقها لحديثه معها ونظره وتجذبه في هذا الجوال ، ولهذا بعض الموفقين من باب بر الوالدين يجعلون سلة عند صالة الوالدة أو قريبا من غرفتها يضعون فيها جوالاتهم حتى يسلم لهم بر الوالدة وحسن الجلوس معها ، ومنهم من هو فيه مقاومة لنفسه فيعزم على نفسه أن لا يخرجها عندها ، أما أن يكون مع الوالدة وفي شوقها إليه وعينه مرتمة في هذا النظر إلى الجوال أين التواصل؟! ثم يقال برامج تواصل!! لو تفصّل تجد أنها حتى في محال الصلاة في الأعياد والمناسبات السعيدة الطيبة تجذ كل واحد يرمي ببصره على الجوال ويتابع ولا يتحقق التواصل وتسمى ببرامج التواصل ، ناهيك عن المتاهات الكثيرة التي في هذه الجولات . فالحاصل أن الإنسان يضبط نفسه مع هذه الجولات؛ ينظم وقته ، يراعي استعمال هذا الجوال في المصالح والمنافع في الأشياء المفيدة ، ويحذر أشد الحذر من السموم التي في هذه الجولات ، فيها سموم عظيمة جدا وبلاوي متنوعة ، ويُنْتَبَه في هذا المقام إلى خطورة فضول النظر والسمع والكلام لا يسترسل مع هذا الفضول في النظر أو الفضول في السمع ، لأن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء:36] ، فيحرص على أن ينظم وقته في التعامل مع هذا الجهاز وأن لا يكون مهلكا له مضرا بمسيرته وحياته وتلقيه للعلم .

ومن الوصية لطالب العلم : أن يراعي الحقوق ؛ حقوق الوالدين ، حقوق الأرحام ، حقوق الجيران ، وأن يظهر أثر طلب العلم الشرعي عليه في تعاملاته ، وأعظم الحقوق بعد حق الله عز وجل حق الوالدين ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الإسراء:23] قرن حق الوالدين بحقه سبحانه وتعالى ، بيانا لعظم هذا الحق ورفيع

مكانته.

ولعلي أكتفي بهذا . أسأل الله عز وجل بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يرزقنا أجمعين العلم النافع والعمل الصالح والتوفيق لرضاه ، وأن يبارك في أعمارنا وأوقاتنا وذرياتنا ، وأن يصلح لنا شأننا كله وأن لا يكلنا إلى أنفسنا طرفة عين، وأن يهديننا لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا هو ، وأن يصرف عنا سيئها لا يصرف عنا سيئها إلا هو ، وأن يهديننا إليه صراطا مستقيما ، وأسأل الله عز وجل بأسمائه الحسنى وصفاته أن يصلح لنا شأننا كله وأن لا يكلنا إلى أنفسنا طرفة عين إنه تبارك وتعالى سميع الدعاء وهو أهل الرجاء وهو حسبنا ونعم الوكيل .

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك .

اللهم صلّ وسلّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .

وصايا لطالب العلم

الشيخ عبد الرزاق البدر حفظه الله

كلمة ألقيت في الكويت

الاثنين 25 شوال 1439 هـ

<http://www.al-badr.net/download/esound/kalimah/wasaya-litolibil-ilm-kuwait.mp3>